القصة السابعة ـ العالم الأحمر

آية طقاطقة

وقفت أحلام مشدوها، تشعر بثقل جسمها، ترتعد فرائصها، تتسارع نبضاتها بقوة، تضطرب أمعاؤها، وتشعر كأن مرارة في حلقها تعلو وتهبط، تخنق أنفاسها، ترتجف جفونها بتوتر، جافة كتلك الأوراق الخريفية الملقاة على نافذة غرفتها، وعيناها اللتان اغرورقتا بالدموع لا ترمش محدقة إلى أخيها أحمد، الذي كان يقف كأنه زوبعه تستعد للهبوب بنظراته التي تتطاير كالشرار ووجهه المسود من شدة الغيظ، وقبضتا كفيه وكأنه يحمل جمرا بينهما. كانت ثوان تجرها الأنفاس، حتى علا صوت الصراخ والآهات وتوسلات الرجاء من داخل الغرفة، صرخ أحمد بكل قوة مجلجلة من بين أسنانه التي تصطك في أحلام التي كانت بين يديه تتلقى الضربات المبرحة: مَن هو؟؟!.. سألتك مَن؟ أجيبي أيتها....هبت الأم من الخارج مسرعة حاولت تخليصها من بين يديه، إلا أنه كالمسعور، أمسكها من يدها وأخرجها وأغلق الباب؛ وقفت الأم تطرق الباب طرقات متتالية وتسترحمه بابنتها، رجع كالسهم إلى أحلام المستسلمة على الأرض منزوعة القوى تئن وتستنجد وتحوم حولها تساؤلات أخيها وصور الهاتف كالطيف المرعب، وبدأ بإلقاء كل ما يخصها وهو يدوس عليه بقدميه، ثم أمسك الهاتف من على الطاولة بيد ورفعها بيد أخرى بقسوة، وألصق الشاشة بعينيها حتى ما عادت تميز ما فيها وسقطت الدموع مبللة الواجهة، وقرب فاه من أذنها فشعرت بحرارة أنفاسه

الملتهبة وصوت اصطكاك أسنانه كأنها بين أنياب وحش كاسر، وصرخ بغضب من جديد:

لمن بعثتِ صورك أجيبي؟ وإلا قتلتك، حاولت أحلام استجماع الكلمات لكنها تزحلقت عن لسانها متهالكة عصية النهوض فلم تستطع النطق، فاسشاط أحمد غضبا ملقيا بقبضة يده على أنفها الصغير، فسقطت على ظهرها تنزف بغزارة، وبقي هو واقفا يلهث من شدة الغضب، نظرت إليه وإلى عينيه الحمراوين الملتهبتين، وأدركت أنها هالكة لا محالة وبصرخة تدفقت من أعماقها تتخللها الآلام وأوجاع مع سيلان من الدموع قالت:

إنه عادل ابن خالتي، أقسم إني لم أرسل صوري إلا له، نحن حبيبان ونتراسل على الفيسبوك منذ فترة طويلة.

تجمد أحمد مكانه مندهشاً غير مصدق ما اخترق مسمعه، وبدأ العرق يسقط من جبينه بغزارة، وانسالت إليه ضحكاته مع عادل وأحاديثهما تارة، وتارة أخرى كلمات وضحكات الشاب المتصل الذي كان يطلب موعداً غراميا من أخته، فكانت رجفاتها أثناء وضع السماعة على أذنها مبعث على الشك حين تفاجأت بأحمد واقفا بجانبها، بعد لحظات من ضربات العواصف الهائجة في مخيلته أخذ يلطم وجهه بيده بندم وحسرة، شاعراً بالخيانة والغدر من قِبل أعز أصدقائه وأقرب أقربائه إليه، بلعت أحلام ريقها بخوف كبير وحاولت أن تتكئ على جانبها، واستدركت قائلة برجاء:

أقسم لك إنها صور محتشمة ولكنه قام بتزويرها ونشرها على تلك المواقع الملعونة...بكاء ونشيج عال... بصوت مختنق متقطع تستدرك... لأني اكتشفت لعبته وفضحته للكثير من الزميلات في الجامعة، هو يمثل الحب والاهتمام على الفتيات حتى يوقع بهن ويهتك أعراضهن مع مجموعة من الشبان الساقطين، لكنه لم يستطع الإيقاع بي حتى بعد أن أحببته ووثقت به، لذلك أراد الانتقام مني بهذه الطريقة الوسخة، اتكأت على يدها وجلست، فضربها أحمد دون وعي على أذنها ونشيجه يعلو ويعلو فأرداها أرضا مرتطمة دون حراك بين أدوات الهندسة وكتبها ودفاترها المتناثرة، خطا مسرعا إلى الخارج، كانت والدته قد فارقت الحياة أمام الباب بعد أن تعرضت لسكتة قلبية أثناء سماعها الحديث الذي دار بينهما في الداخل، ولكن أحمد مر من فوقها دون أن يراها من شدة الغضب الذي يجول بخاطره، حيث خيّم السواد على بصره، أمسك بالمسدس، ثم انطلق يبحث عن عادل، كان الجيران مجتمعين في الخارج متسائلين عن الخطب باستغراب، وحين رأوا أحمد بحالته تلك علموا مدى خطورة الأمر، حاولوا إيقافه ومنعه، ولكنهم سرعان ما تراجعوا خوفا على أنفسهم تاركينه وشأنه، ثم دلفت بعض النسوة للبيت للاطمئنان على أم أحمد وأحلام. داهم أحمد بيت خالته بالسلاح، مما أثار الرعب بهم، وحين لم يجد عادل خرج يبحث عنه ونار الغضب تزداد لهيبها بداخله، توجه إلى مكان اجتماعهما بالعادة مع بقية الأصدقاء وتحت تهديد السلاح وضع أكثر الأصدقاء قربا من عادل يستفهم منه عن مكانه، حتى دله على

العنوان، جرى أحمد متلذذا بدنو الانتقام حيث يركن عادل، وحين رآه لم يتوان للحظة واحدة وأطلق عليه النار فأرداه قتيلا، ثم فر هارباً، انتشرت الأخبار المشؤومة في تلك البلدة الصغيرة، وهدر الدم واشتعلت نيران الثأر والانتقام بين العائلتين، فتدخل الشيوخ وكبار البلدة والبلدات المجاورة لإنقاذ الوضع، حتى استطاعوا بمشقة كبيرة الوصول إلى تهدئة لفترة محدودة حتى يتم القبض على المجرم، لكن سرعان ما بدأت المنشورات الاستفزازية والتحريضية من العائلتين على مواقع التواصل الاجتماعي مما فاض بطوفان الحقد من سويداء القلوب، وانقلبت البلدة رأسا على عقب، وعم الخراب والدمار في البيوت، وتدفق شلال الدماء من جديد دون توقف بين من كانوا بالأمس القريب أقارب وجيران وأصهار يتقاسمون الأحزان قبل الأفراح، وأضحت مهندسة البلدة المجتهدة النبيلة مخبولة وحيدة يزفها الأطفال بالتطبيل والتصفيق في الطرقات الحزينة.

*****